العلاقة الزوجية مفهومها واهميتها وحل المشاكل العارضة فيها خلال القرآن الكريم

علي اصغر سيف الدين[1]

الملخص:

ان العلاقة الزوجية من اسمى العلاقات الانسانية واهمها واعجبها و"امس بالناس حاجة، وهم اكثر اليه فاقة"[2]. وتلك العلاقة فطرت على اساس المودة والرحمة والسكون من الله تعالى كما هو مبين بقوله: ﴿ لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.[3] فلذلك جعلها القرآن الكريم من اجل آيات الله وحضّ اليها بفنون شتى في غير موضع، فتارة استخدم صيغة الامر لها فقال:﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ...﴾ متكفلاً لاغناء من يخاف العيلة من اجلها:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾،[4]وتارةً بيّن خلقه الزوجة لاجل السكون وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾.[5] وتارةً اخرى ذكر القرآن ما فضّل الله الانبياء منها وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾.[6]

ثم ان القرآن الكريم اهتم لصون هذه العلاقة المهمة اجل الاهتمام فسمّى عقد النكاح ميثاقاً غليظاً في كتابه، فجعل عقد النكاح بهذا الوصف بازاء ما اخذ من الميثاق الغليظ من الانبياء[7] وبازاء ما اخذ على قوم موسى النبي ﷺ من ترك التعدي في

[1]- المدرّس في الجامعة السيفية (السند) / المتعلم في جامعة الكراتشي (M.Phil – Islamic Learning)

[2]السيد ابراهيم سيفي ،كتاب النجاح في معرفة احكام النكاح ، الجامعة السيفية

[3]- روم: ٢١

[4]- النور: ٣٢

[5]- الاعراف: ١٨٩

[6]- الرعد: ٣٨

[7]﴿واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ (الاحزاب: ٧)

السبت[1] – تأكيدا لما يجب فيه من شدة المراعاة في الحقوق الزوجية. وقد بلغ القرآن لصون كيان الاسرة من الهدم حتى في عرصة الطلاق ويرجو من الزوج مراجعة زوجتها بالفاظ يتضح منها حرص القرآن في ذلك: ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.[2]

ثم ان القرآن الكريم يسعى في حل المشاكل العارضة في هذه العلاقة ابلغ السعي. ففي فترة الشقاق والخلاف امر بان يبعث "﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾"،[3] وكذلك يرى حب القرآن الى الصلح بين الزوجين مخبرا بان" ﴿الصلح خير﴾".

ففي عصرنا الذي نواجه فيه التحديات والمشاكل الزوجية الدثرة من ارتفاع معدل الطلاق بسبب انعدام جو الالفة في البيوت وازدياد القلق والشقاق فيها واننا نشاهد من اكتثار المسائل بين الزوجين واسرتهما من لدن الخِطبة الى عقد النكاح، ومن داخل غرفة النوم الى المعاشرة في اوسع نطاقها، فالقرآن هو الحل الكامل الوحيد المؤثر لمواجهة تلك التحديات وحل تلك المشاكل. ولذا ستكون المقالة مهمة لتبحث خلال تحليل معاني الآيات القرآنية المتعلقة بالعلاقة الزوجية– مستكشفاً لما فيها من دستور العمل الكامل لها وحل مشاكلها.

مفاتيح الكمات: القرآن، الطلاق، النكاح، الحقوق

المقدمة

ان العلاقة الزوجية من اسمى العلاقات الانسانية واهمها واعجبها و"امس بالناس حاجة، وهم اكثر اليه فاقة"[4]. فقد قيل في هذه العلاقة"ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عزّ وجلّ من التزويج"[5].

---

[1] ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ (النساء:١٥٤)

[2]- الطلاق:١

[3]- النساء:٣٥

[4] الشيخ ابراهيم سيفي ،كتاب النجاح في معرفة احكام النكاح ، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي، ٢٠١٤، ص ٣.

[5] مُحَمَّد بن الحسن الحر العاملي ، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ج١٤، ص٣.

وهذه العلاقة فطرت على اساس المودة والرحمة والسكون من الله تعالى كما هو مبين بقوله: ﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.[1] فلذلك جعلها القرآن الكريم من اجل آيات الله وحضّ اليها بفنون شتى في غير موضع ، فتارة استخدم صيغة الامر لها فقال : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ...﴾ متكفلاً لاغناء من يخاف العيلة من اجلها:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾،[2]وتارةً بيّن خلقه الزوجة لاجل السكون وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾.[3] وتارةً اخرى ذكر القرآن ما فضّل الله الانبياء منها وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾.[4]

ثم ان القرآن الكريم اهتم لصون هذه العلاقة المهمة اجل الاهتمام فسمّى عقد النكاح "ميثاقاً غليظاً" في كتابه، فجعل عقد النكاح بهذا الوصف بازاء ما اخذ من الميثاق الغليظ من الانبياء الذين ذكروا في هذه الآية الكريمة :﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾،[5] وبازاء ما اخذ على قوم موسى النبي ع [6] من ترك التعدي في السبت – المذكور في الآية الكريمة: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[7] – تأكيدا لما يجب فيه من شدة المراعاة في الحقوق الزوجية وتشديداً للاعتناء التام في القيام بها. وقد بلغ القرآن لصون كيان الاسرة من الهدم حتى في عرصة الطلاق ويرجو من الزوج مراجعة زوجتها بالفاظ يتضح منها حرص القرآن في ذلك: ﴿لاتَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾.[8]

ثم ان القرآن الكريم يسعى في حل المشاكل العارضة في هذه العلاقة ابلغ السعي. ففي فترة الشقاق والخلاف امر بان يبعث ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ

---

[1]- روم: ٢١

[2]- النور: ٣٢

[3]- الاعراف: ١٨٩

[4]- الرعد: ٣٨

[5]- الاحزاب: ٧

[6]- النساء: ١٥٤

[7]- الطلاق: ١

اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، وكذلك يرى حب القرآن الى الصلح بين الزوجين مخبرا بان ﴿الصلح خير﴾.

ففي عصرنا الذي نواجه فيه التحديات والمشاكل الزوجية الدثرة من ارتفاع معدل الطلاق بسبب انعدام جو الالفة في البيوت وازدياد القلق والشقاق فيها ونشاهد اكتثار المسائل بين الزوجين واسرتهما من لدن الخِطبة الى عقد النكاح، ومن داخل غرفة النوم الى المعاشرة في اوسع نطاقها، فالقرآن هو الحل الكامل الوحيد المؤثر لمواجهة تلك التحديات وحل تلك المشاكل.

منهج البحث :

ان هذه المقالة تبحث عما ورد في القرآن الكريم حول موضوع العلاقة الزوجية واهميتها- خلال تحليل معاني الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع. وكذلك تستنير المقالة بما ورد في الاحاديث النبوية واقوال العلماء الكرام لفهم تلك الآيات القرآنية وتعدد وجهاتها. وكذلك تستنير المقالة في كل نكتة من خطة البحث بما تقدم القرآن من حل الشقاق والاختلافات العارضة في هذه العلاقة – مستكشفاً لما في القرآن من دستور العمل الكامل لها وحل مشاكلها.

تخطيط البحث :

رتّبت هذه المقالة حسب نكات مهمة حول العلاقة الزوجية مما ورد ذكرها في القرآن الكريم — مما يبين مكانة هذه العلاقة واهميتها والحاجة اليها في الحيوة الانسانية. فتجري المقالة على الخطة التالية :

١. رغائب النكاح في القرآن : يستكشف البحث عن اساليب القرآن في الترغيب الى النكاح.

٢. خلق الازواج من انفس الرجال : تبحث المقالة عن وجوه المعاني الواردة في هذا المجرى وحكمة الله في ذلك.

٣. اهمية علاقة الصهارة ومكانتها خلال القرآن الكريم

وهذه النكات الثلاثة تتعلق بالامور التي هي مقدمات لموضوع العلاقة الزوجية. فيجري البحث بعد ذلك باحثا وظائفها وواجباتها ومنافعها المذكورة في القرآن تحت العناوين التالية :

١. حصول السكينة والطمانينة
٢. فطرة الزوجين على المودة
٣. دور القرآن في استدامة هذه المودة باصلاح الامور بين الزوجين
٤. اللذة بالحلال ما بين الزوجين
٥. انجاب الذرية الصالحة وبقاء النسل
٦. تربية الاولاد
٧. ضمان كفالة المرأة من جهة الرجل
٨. حصول الغناء ونفي الفقر
٩. تفضيل الله للنبيين صلع بالازواج
١٠. معاونة الزوجين على اقامة الشريعة وامور الدين
١١. وتحاول المقالة البحث عما لفّن به القرآن الكريم من تيسير النكاح تحت العنوان ...
١٢. ارشادات القرآن الى تيسير النكاح

وبالله تعالى استعين في جميع الامور.

١) ترغيب القرآن الى النكاح

ان العلاقة الزوجية تبدو من المعاملات الدنيوية ، ولكن الاسلام يلبسها لباساً شرعياً فتصبح عند ذلك عبادة يثيب الله فاعلها. ولكن لا يزال النكاح امرا غريزياً في الانسان — فالانسان مطبوع على الرغبة الى الزوجة . فلماذا شدد القرآن الرغائب في امر النكاح؟

فانما جاءت الرغائب في مثل هذه الامور من المآكل والملابس والمساكن والمناكح لان الناس نوعان، احدهما يرغبون في لذات الدنيا وينهمكون في شهواتها، والآخر يعرضون عنها ويرغبون في الآخرة ويطلبون نعيمها، فلذلك اورد القرآن الرغائب في الامور المباحة في الشريعة لان الشرائع انما وضعت لصلاح الدين الدنيا جميعا، ولولم ترغب في مثل هذه الامور المذكورة فيما قبل لاعرض عنها كثير من الناس ممن اشتدت رغبته في الآخرة ونعيمها فانقطع النسل والحرث، وفسدت الارض ومادت. فلذلك

اورد القرآن عدة من الرغائب في امر النكاح ، فقال في موضع مرغباً في النكاح في صيغة الامر:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾. [1]

وبيّن القرآن الكريم في موضع آخر كيفية عقد النكاح وقواعده وشرائطه فقال : ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾.[2] فابان القرآن بان النكاح انما يعقد باذن ذوي اقرباء المرأة، وقد امر الله على لسان رسوله صلع بان يبين اهل المرأة الذين تنكح باذنهم من هم؟ فبين في سنته انهم قرابتها من قرابة ابيها دون قرابة امها، وبين ايضا ترتيبهم ومن الاولى منهم بالعقد دون غيره، وقد ادخل ولدها الذكور وولد ولدها في ذوي قرباها الذين تنكح باذنهم.

وفي موضع آخر ، يرغّب القرآن في نكاح الايامى فيقول : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾.[3] ففي هذه الآية دليل على انه عز وجل امر بنكاح الثيبات لانه لما ذكر في الآيات التي قبلها انه خلق الازواج حكمة اذ جعلها سكونا للناس، واذ قد علم ان نكاح الابكار يحل ، اخبر ان نكاح الثيبات يحل كذلك، وتخصيص الصالحين لان احصانهم اوجب واهم، وقيل الصالحون للنكاح القائمون بحقوقه، فان انكاحهم احسن من غيرهم، فان اداء القرآن تشمل الخطاب لكل فريق له دور في النكاح والانكاح من الزوجين وولي المرأة .

فالآية توجهنا من وجهٍ بانه ينبغي للاولياء ان ينكحوا من يلونه اذا طلب ذلك ولا يمنعوا عنه، لا ان يكرهوه على النكاح اذا كرهه، فهذا ترغيب للاولياء بان يلوا عقد نكاح من يلونه.

فالقرآن الكريم لم يرغّب الى النكاح فحسب، بل سهّل امره بالحاب طريقه الايسر لمن اراده ايضاً.

٢) خلق الازواج من نفس الرجل

اخبر الله تعالى في مواضع عديدة مخاطبا للناس بانه عز وجل خلق الازواج من انفسهم، فقال تعالى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾،[4] وقال في

---

[1]- النساء:٣

[2]- النساء:٢٥

[3]- النور:٣٢

[4]- الزمر:٧

نفس المعنى في موقع آخر : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1] واشار الى ذكر آدم عليه السلام خاصةً في هذه الآية : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ، واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً﴾.[2] وقال تعميماً لهذه الفكرة : ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾.[3] واوضح في موقع آخر سبب ذلك فقال جل ذكره : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ .

فقوله تعالى (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) له معان عديدة :

فاولها ما يروى ان الله عز وجل خلق آدم من الطين، ثم نفخ فيه من روحه، ثم اراد ان يخلق له زوجة، "فالقى عليه النوم فنام فامر جبرئيل ان يكسر احدى اضلاعه ويخلق منها زوجته ففعل كما امر، فصح بهذا انه خلق الزوجة من نفس زوجها، ودليلنا على ذلك ان المرأة لها اثنتي عشرة ضلعا في كلي جانبيها، واما الرجل ففي احد جانبيه اثنتي عشرة ضلعا وفي الآخر احدى عشرة ضلعا لانه كسرت منه واحدة منها"[4]،

وثانيها بان الله لما خلق الزوجة ليسكن اليها– والسكون لا يحصل الا بمن يكون من الزوجة من جنس الرجل، فانه عزوجل اخبر بقوله في كون الزوجة من نفسه بانه خلق لكل انسان زوجة من جنسه من البشر، وذلك اعظم احسانه عليه، والا فكيف يسكن الى ما لا يكون من جنسه.

وثالثها ان خلق لكل شخص زوجة مثله في الطهارة والعفة والعقل والفضل والحسن والجمال او في ضد هذه الخصال من النجاسة والخبث والحمق والرذالة والقبح والدمامة، كما قال عز وجل :﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾.[5]

---

[1]- الاعراف:١٨٩

[2]- النساء:١

[3]- الشورى:١١

[4] الشيخ ابراهيم سيفي ،كتاب النجاح في معرفة احكام النكاح ، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي، ٢٠١٤، ، ص ٦٤.

[5]- النور:٢٦

ففي كل من الآيات المذكورة ترغيب في النكاح بانه عز وجل جعل خلقه للبشر ازواجا من انفسهم من اجل انعامه وعدّد ذلك من آياته في كل من الآيات المذكورة من القرآن ، فيستحب ان تقبل هديته ولا ترد.

٣) اهمية علاقة الصهارة ومكانتها خلال القرآن الكريم

اوضح القرآن الكريم عظمة علاقة الصهارة في جنب علاقة القرابة فقال ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾.[١]

فبيّن الله بقوله بانه قسم البشر قسمين: نسبا وصهرا، "فالنسب هي القرابة والصهر بالكسر حرمة الختونة، يعني ذكورا واناثا، فبالذكور تحصل القرابة وبالاناث تحصل الصهارة"[٢]،

فلم يكتف القرآن الكريم بتعظيم العلاقة الزوجية فحسب ، بل اكّد بها العلاقات بين عشيرة الرجل والمرأة جميعا . فلذلك جعل هذه النسبة بازاء علاقة القرابة والارحام التي كان العرب يعتني بها اشد الاعتناء لحفظ شعوبهم وقبائلهم.

وفي هذه الآية ترغيب في النكاح ايضا حيث ذكر انه جعل البشر نسبا وصهرا، وذلك حكمة منه ولطف لعباده، وهو انه سبب الالفة، والالفة سبب لصلاح الدين والدنيا معا، واذ كان ذلك حكمة كان فعله واجبا، وكل واجب فيه اجر وثواب، فالنكاح اذا فيه اجر وثواب.

٤) حصول السكون والطمانينة

"ان امر الزواج سبب الفخر والعزة والبركة والسكون"[٣] . فقد اوضح الله عز وجل في القرآن منفعة لخلق الازواج فقال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾-[٤]

---

[١]- الفرقان :٥٤

[٢] المصدر السابق ، ص ٢٠.

[٣] السيد محمّد برهان الدين ، خطبة المحرم الحرام ١٤٢٥ هـ ، المجلس السابع ، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، كراتشي.

[٤]- الروم: ٢١

فان الله عز وجل ذكر في هذه الآية علة خلق الازواج، وهو السكون اليها و ذكر مع ذلك سبب حصول السكينة عندها، وهو جعله بينهما مودة ورحمة. ففي ذلك دلالة ان السكينة لا تحصل للانسان الا مع الازواج، وكل سكينة مع غيرها فهي دونها، وكذلك المودة والرحمة لا توجد حقيقتهما الا بين الزوجين. وذلك مما نشاهده في العصر الحاضر بان كل تعلق جنسي خارج عن نطاق الزوجية – بدلاً من حصول السكون والمودة– قد اوقع عديدا من الناس في الولايات المتحدة الامريكية والبلاد الاوروبية في نزاع بين الرجل وبين خدينته.

وبالعكس ان العلاقة الزوجية مجبولة من الله تعالى على حصول السكن، فقد جاء في الحديث القدسي في ذلك عن رسول الله صلع فانه يقول : " اذا اردت ان اعطي العبد خيرا من الدنيا والآخرة، جعلت له لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وجسدا على البلاء صابرا وزوجة مؤمنة تسره اذا نظر اليها، وتحفظه اذا غاب عنها في نفسها وماله ". فهذا الحديث القدسي يؤكد معنى الآية بان الزوجة مخلوقة ليسكن اليها لان الله عز وجل ينزل لها المودة في قلبه لصلاحها وحسن خلقها وايمانها فيسر بها كانت جميلة او غير جميلة، يرزقها ايضاً الجمال في رأي العين فيسر بحسنها كما يسر بخلقها وصلاحها، ويسكن المرء ايضاً اذا رأى حفظها في الحضور و الغيبة في ذاتها بصونها فيما له عندها من بضعها لان بضع المرأة لزوجها، وايضاً تحفظه في ماله وفيما ائتمنها عليه اودعه عندها– فكل ذلك يسبب الى حصول السكون .

٥) فطرة الزوجين على المودة

" ان الانسان انما يتزوج لامرين : احدهما اللذة وثانيهما بقاء النسل، فاللذة لا تحصل الا في المودة "[٢]، فلذلك جعلها الله ذلك فطرة في الانسان كما اخبر في كتابه فقال ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾-[٣] وكذلك قد ذكرت فيما قبل بان المودة هو امر ايجابي لحصول السكينة. وان المودة المذكورة في القرآن الكريم تدوم في النوع الانساني

[١] جمال الدين السيوري ، كنز العرفان ، ج٣، دار الأضواء طبع النجف ، ٢٠١٢، ص٤ .

[٢] الشيخ ابراهيم سيفي ، كتاب النجاح في احكام النكاح ،الجامعة السيفية – دائرة الطبع والنشر، ممبئي، ٢٠١٤ ، ص ٤٥.

[٣]- الروم: ٢١

في حالة الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات لانها لا تود الا في حال الشبق، فهذه نعمة قد خص الله بها النوع الانساني نظما لامر المعاش، لانه متوقف على التعاون، والتعاون يحتاج الى التوادد والتراحم.

٦) دور القرآن في استدامة هذه المودة باصلاح الامور بين الزوجين

قد وصف الله النكاح الذي هو مبدؤ العلاقة الزوجية بالميثاق الغليظ حسبما ذكرتُ في مقدمة المقالة. ومقتضى وصفه بالميثاق الغليظ أنَّه يلزم منه الإلزام والاستدامة، والنصح والوفاء، وترك الكذب والظلم والخديعة؛ ولذا فالأصل في النِّكاح الاستدامة والسَّكَن والاستقرار، وعلى هذا فيجب على الزوجين أن يقاوما كلَّ ما يهدِّد ذلك .

ورغَّب القرآن كل الرغبة في الإبقاء على عُقدة النِّكاح، وأمر الزوج بالمعاشرة بالمعروف، ولو مع كراهته لزوجه، فقال :﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.[1]

والآية تأخذ الأبصار إلى النظر في المآلات، إلى الخير الكثير الذي يَنضوي تحت العيب الحاضر المشاهد، وتأخذ بالبصائر إلى استِذكار الحسنات، حين تقع العين على السيئات والعيوب؛ حتى يكون النَّظر بإنصاف واتِّزان وموازنة بين حسنات الزوجة وسيئاتها.

ومع هذه العلاقة المتينة بين الزَّوجين، فإنه كثيرًا ما يقع النِّزاع، وسوء التفاهم بين الزوجين، لا سيما في السنة الأولى وما بعدها عقب الزواج، وهذا أمر طبيعي؛ فإنَّه لا تخلو الحياة الزوجية من مشكلات.

ففي هذه العرصة يبيّن القرآن طريق إزالة الخِلاف بتقريب وجهات النَّظر، والإصلاح بين الزوجين، من قِبل أنفسهما، أو غيرهما، بالحِكمة والحقِّ والعدل، دون إلحاق جور بأحدهما، أو ميل له؛ فقال الله تعالى ما يرشِد إلى الصُّلح والعدل في معاملة النساء العظيمة الخطر، فقال سبحانه :﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ

[1]- النساء: ١٩

إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.[1]

فيقدم القرآن في هذا السدد حلاً انيقاً يؤدي الى ازالة الشقاق بين الزوجين – وذلك: إذا خافت المرأة نشوزَ زوجها؛ ، وعدم رغبته فيها، وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلِحا بينهما صلحًا، بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها على وجهٍ تبقى مع زوجها؛ إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة، أو الكسوة أو المسكن، أو القسم بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها أو لضرتها، فإذا اتَّفقا على هذه الحالة، فلا جناح ولا بأسَ عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذٍ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من الفُرقة؛ ولهذا قال :﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾.[2]

ويؤخذ من عموم هذا اللَّفظ والمعنى أنَّ الصلح بين من بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنَّه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه؛ لما فيها من الإصلاح، وبقاء الألفة، والاتصاف بصفة السماح.

فالصلح جائز في جميع الأشياء، إلا إذا أحلَّ حرامًا، أو حرَّم حلالًا، فإنه لا يكون صلحًا؛ وإنما يكون جورًا [3] .

وينطق القرآن في موضع آخر : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾.[4]

فيبيّن القرآن أنَّ الإصلاح بين الزوجين أمر واجب، لا يجوز تَجاوزه، فإذا كان الإصلاح بين الناس مطلوبًا شرعًا، فإن الإصلاح بين الزوجين أكثر طلبًا.

---

[1]- النساء: ١٢٨

[2]- النساء: ١٢٨

[3] عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، دار ابن الجوزي، المعزية القاهرة، ص ٢٠٦.

[4]- النساء: ٣٥

وقد دلَّت الآية على شدَّة الترغيب في هذا الصلح، بمؤكدات ثلاثة: وهي المصدر المؤكد، في قوله :﴿ صُلْحًا ﴾،[1] والإظهار في مقام الإضمار في قوله :﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾،[2] والإخبار عنه بالمصدر، أو بالصفة المشبهة، فإنها تدل على فعل سجية[3].

ومن الجدير بالذكر بان القرآن أمر بالحكَمين هنا؛ لأنَّه في الغالب قد لا يستطيع الزوجان تدارك الخلاف بينهما، ومعالجته بقدراتهما المحدودة، وخاصَّة الأزواج الصغار منهم، فإنَّ سعي الصالحين من الأقارب والمعارف يعدُّ من أعظم وسائل بقاء الحياة الزوجية واستمرارها، خاصة إذا علم أن الخلافات الزوجية أمرٌ واقع، لا يكاد ينفك عنها زوجان.

هكذا المنهج القرآني لا يَدعو إلى الاستسلام لبوادر النشوز والكراهية، ولا إلى المسارعة بفصم عُقدة النِّكاح، وتحطيم مؤسَّسة الأسرة على رؤوس مَن فيها من الكبار والصغار، الذين لا ذَنب لهم، ولا يد ولا حيلة، فمؤسسة الأسرة عزيزة على القرآن ، بقَدر خطورتها في بناء المجتمع، فإنَّه يلجأ إلى هذه الوسيلة الأخيرة عند خوف الشقاق، فيبادر قبل وقوع الشِّقاق فعلًا؛ يُبعث حكَم من أهلها ترتضيه، وحكَم من أهله يرتضيه، يجتمعان في هدوء، بعيدين عن الانفعالات النفسيَّة، والرواسب الشعورية، والملابسات المعيشية، التي كدَّرَت صفوَ العلاقات بين الزوجين، طليقين من هذه المؤثرات التي تفسد جوَّ الحياة، وتعقِّد الأمور، وتبدو – لقربها من نفسي الزوجين – كبيرة، تغطِّي على كلِّ العوامل الطيبة الأخرى في حياتهما، حريصين على سمعة الأسرتين الأصليتين، مشفقين على الأطفال الصغار، بريئين من الرغبة في غلبة أحدهما على الآخر – كما قد يكون الحال مع الزوجين في هذه الظروف – راغبين في خير الزَّوجين وأطفالهما ومؤسستهما المهدَّدة بالدَّمار.

---

[1]- النساء: ١٢٨

[2]- النساء: ١٢٨

[3] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٥ ، دار السحنون للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٨، ص، ٢١٧.

واخبر القرآن في هذه الآية "ان بمساعدة الرغبة القوية في نفس الحكَمين، يقدِّر الله الصلاحَ بينهما والتوفيق – حيث قال :﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[1]، فهما يريدان الإصلاح، والله يستجيب لهما ويوفِّق" [2].

وبالاضافة الى ذلك– قد ذكرتُ في مقدمة المقالة ما يرى من ميل القرآن الى الوئام بين الزوجين ولو في رحاب الطلاق؛ فقد قال الله تعالى ﴿لاتَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾.[3] "يعني من المراجعة"[4] . فلذلك جاء الاستحباب في طلاق السنة دون غيرها لما فيه من فسحة مراجعة الزوج لزوجتها.

٧) اللذة بالحلال

ان الله ع ج خلق الخلق من ذكر وانثى وركب في طبائعهم شهوة النكاح وجعل ذلك سبب التناسل فرفع قدر النكاح ثم رفع قدر الانسان عن فعل البهائم ونزههم عن الوطئ بغير النكاح. فان المودة المذكورة التي جعل الله في جبلة الزوجين مقرونة في العلاقة الزوجية بحصول اللذة واسكان الشهوات الانسانية. ولو ان هذا الامر يعد من الطابوهات المحاطة بالخطوط الحمراء ، فأن القرآن تعامل مع هذا الموضوع المهم في العلاقة الزوجية بقمة الواقعية باعتباره أحد الشهوات والغرائز التي وضعها الله في الإنسان.

والملاحظة الكبرى في هذا السدد بان القرآن لم يزل يراعي احترام الآداب العامة وعدم المس بالحياء العام باصطناع لغة حيية، ليضرب المثال على طريقة التناول البيداغوجي التي يمكن أن يعالج بها موضوع الجنس. فقال في موضع ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾[5] فهذه الآية مثلا جمعت كل فنون وضروب الجنس

---

[1]- النساء: ٣٥

[2] سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي ، في ظلال القرآن (طبعة ٣٢) ، ج٢، دار الشروق، مصر، ١٤٢٣هـ، ص ٦٥٦ .

[3]- الطلاق:١

[4] السيد القاضي النعمان بن مُحَمَّد رض ،مختصر الآثار، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦، ص ٣٠١.

[5]- البقرة:٢٢٣

بأسلوب فيه كناية ومجاز في سياق عبادي، "فهي شبهت عملية الجنس بالحرث الذي يتطلب مهارة وعلما ومتابعة وتعهدا وتوكلا حقيقيا، وأيضا ارتباطا عاطفيا ووجدانيا كما يرتبط الفلاح بالأرض، كما أنها جعلت العملية غير محددة لا بزمان ولا بمكان ولا بوضعيات معينة"[1].

وقال الله تعالى في موضع آخر ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.[2] قال صاحب «التفسير الحديث»: "وفي الآية تنويه بعلاقة الزوجين ببعضهما، وما يجب أن تقوم هذه العلاقة عليه، من الصفاء والتواد، والتمازج، حتى يغدوا كشخص واحد، وروح واحدة، وقلب واحد"[3] .

وورد في تفسير الطبري في تفسيرهذه الآية: "أن يكون كل واحد منهما جعل لصاحبه لباسا ، لتجردهما عند النوم ، واجتماعهما في ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه ، فقيل لكل واحد منهما : هو " لباس" لصاحبه ، كما قال نابغة بني جعدة :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها * تداعت ، فكانت عليه لباسا"[4]

هذه العفة البالغة في انتقاء مفردة الجنس في القرآن، الذي كنى عن الممارسة بالمباشرة واللمس والمس والتغشي والإفضاء، لن ندركها إلا حين نقابلها ونقارنها بمشاهد جنسية عاهرة في النصوص الدينية الأخرى. كما ينبغي تسجيل ملاحظة أنه بالرغم من نسبة الأفعال إلى المذكر بحسب لغة العرب غير أن الفعل الجنسي هو فعل تشاركي وبالاختيار بين الجنسين .

ميزة الاسلام بين الاديان في هذا السدد

وعلى هذا المستوى يخالف الإسلام باقي الأديان التي اعتبرت غاية الجنس الأولى هي التكاثر واستمرارية النوع، فمثلا يرفض القديس "أوغسطين" (13 November

[1] سعيد مولاي التاج ، الجنس من خلال مفردات القرآن الكريم ، 2أكتوبر، ٢٠١٥

[2]- البقرة: ١٨٧

[3] مُحَمَّد عزة بن عبد الهادي دروزة ، التفسير الحديث، ج٧ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٩٦، ص٢٨٦.

[4] تفسير الطبري : ص ٤٩٠

354 – 28 August 430)[1] –من كبار رجال الدين المسيحي في العصر الوسيط– ما أطلق عليه "الجنس الجاف"، أي كل ممارسة تستهدف المتعة دون التوالد والإنجاب[2]، وتصر النصوص اليهودية على تحريم اللذة غير المقترنة بـ''الهدف الأسمى أو الهدف اللهوي/ الإلهي الإلاهي'' أو هدف الطبيعة، كما سمّاها المتأخّرون، وهي التناسل وزيادة النسل.

فعلى الرغم من كل هذا ، فان القرآن لم ينزو عن ذكر هذا الامر لكونه مهما في حياة الانسان عند التناسل وغيره لان العديد من الدراسات استكشفت بإن "جزءا كبيرا من مشاكل الأزواج المسببة للطلاق أو التي تعكر صفو العلاقة بين الزوجين تبدأ من غرف النوم، نتيجة عدم إدراك أحد الزوجين أو كليهما لأهمية العلاقة الجنسية إما جهلا أو تجاهلا أو بسبب سوء التربية، فالجهل بالدين والحياء الزائف والنفاق الاجتماعي وثقافة "حشومة" جعل من موضوع الجنس "طابوها" لا يمكن الاقتراب منه، وكأنه عيب أو حرام."[3]

فكرة القرآن الكريم للعدل بين الازواج

ومن جانب آخر ، ان القرآن يؤكد للزوج حين يتعدد النكاح ان يعدل بين ازواجه في النفقات والمبيت ويقضي وطر كل واحدة منهن، فان لم يستطع ذلك فقد قال الله تعالى:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾.[4] فقد ورد في الحديث المروي عن الامام جعفر الصادق ع م ما يؤكد هذا المعنى : "من جمع من النساء ما لا

---

[1] (2000). Longman Pronunciation Dictionary (2 ed.). New Wells, J. York: Longman. ISBN 0-582-36467-1.

[2] How St. Augustine Invented Sex, The New Yorker, June 19, 2017 Issue "He expects his readers to understand the difference "between the sanctioned scope of marriage, a bond contracted for the purpose of producing children, and a deal arising from lustful infatuation."

[3] سعيد مولاي التاج ، الجنس من خلال مفردات القرآن الكريم ، 2أكتوبر، ٢٠١٥

[4]- النساء:٣

ينكح فزنين فالاثم عليه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾.[1] "[2]

ومن الجدير بالذكر هنا ما نصح به القرآن النبي صلع في هذا السدد حين حرّم رسوله على نفسه مارية القبطية (رضع) يبتغي مرضاة بعض ازواجه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾.[3]

وذلك ان رسول الله صلع كان قد خلا بمارية القبطية أمته قبل أن تلد إبراهيم ع م ، فاطلعت عليه عائشة، فساءها ذلك ، فأحب أن يرضيها، فحرم مارية على نفسه، وحلف لها انه لا يقربها بعد ذلك ، واسر ذلك إليها فأمرها أن تكتمه ، فأخبرت به حفصة وظاهرتا على رسول الله صلع ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ إلى قوله ﴿وابكارا﴾"[4]. فيرى بما اوضح القرآن من تحذير النبي صلع في تحريمه الحلال اهمية الامر المذكور في العلاقة الزوجية. فلذلك اجمع الفقهاء في تأكيد النهي عن تحريم الرجل امرأته على نفسه، ومن ذلك ما ورد عن أبي جعفر مُحَمَّد بن علي ع م "في رجل قال لامرأته أنت علي حرام ، قال لو كان لي عليه سلطان لأوجعت رأسه وقلت أحلها الله لك ، ثم تحرمها أنت ، انه لم يزد على أن كذب ، فزعم ان ما أحل الله له حرام عليه"[5].

٨) التعفف والاحصان بالنكاح

فالزواج حصن للرجل والمرأة من الوقوع فيما حرم الله، قال الله تعالى :﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾.[6] وان القرآن جعل الاحصان والتعفف من

---

[1]- النساء:٣

[2] السيد القاضي النعمان بن مُحَمَّد رض ،كتاب دعائم الاسلام، دائرة الطبع والنشر- الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦، ص٢٢٢٦.

[3]- التحريم:١

[4] السيد القاضي النعمان بن مُحَمَّد رض ،مختصر الآثار، ج٢، دائرة الطبع والنشر- الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦، ص٣١٥.

[5] السيد القاضي النعمان بن مُحَمَّد رض ،كتاب دعائم الاسلام، دائرة الطبع والنشر- الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦، ص٤٠٦.

[6]- الإسراء: ٣٢

اجل وظائف النكاح ، فان الله يبيح النكاح مع بيان ما يستهدف من الاحصان منه فيقول : ﴿واحل لكم ما وراء ذلك ان تتبغوا باموالكم محصنين غير مسافحين﴾ (النساء:٢٤). فالمعنى انه ع ج يقول احل لكم النساء ما هي غير اولئك اللاتي هن ذوات المحارم المذكورات فيما قبل، وذلك اذا ابتغيتم نكاحهن باموالكم المبذولة في مهورهن وتنكحوهن محصنين اي لطلب النزاهة عن الحرام والعفة – غير مسافحين بالسفاح الذي هو عين الزنى الذي نهى القرآن عن قُربه فضلاً عن ارتكابه في قول الله جل ذكره ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾.[1] فبين في صيغة الحال بانه ينبغي ان ينكح لطلب الاحصان والعفة.

فلذلك قد جاء في الحديث بان النبي صلع "نهى عن نكاح يراد به غير وجه الله والعفة"[2] ، واخبر صلع في حديث آخر بان النكاح هو آكد سبب العفة فقال صلع : " من احب ان يلقى الله تعالى طاهرا مطهرا فليستعفف بزوجة "[3] .

فالاحصان بالزوجة والتعفف يحصل من وجوه عدة :

منها: ان من لامس زوجته سكنت شهوته فيتعفف عن غيرها كما يروى عن علي ابن ابي طالب عليه السلام "انه كان جالسا في اصحابه فمرت بهم امرأة اعجبتهم فتابعوا النظر اليها، فقال عليه السلام ان عيون هؤلاء الفحول طوامح، وانما هي امرأة كامرأة لها ما لهن، فاذا اعجبت احدكم امرأة فليرجع الى اهله وليلمسها حتى يسكن"[4].

ومنها ان الزوجة تمنع بعلها عن غيرها بمحبتها او بهجتها او بدوام صحبتها.

تحضيض القرآن الكريم الى لتيسير لولي المرأة لصونها من البغاء

---

[1]- الإسراء: ٣٢

[2] مرزا نوري ، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، دمشق، ٢٠١٤، ص ١٦٥.

[3] السيد القاضي النعمان بن محمد رض ،كتاب دعائم الاسلام، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦، ص٢١٥.

[4] الشيخ ابراهيم سيفي ، كتاب النجاح في معرفة احكام النكاح ، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي، ٢٠١٣ ، ص ١٨٦.

وقد حض القرآن ايضاً اب المرأة الى تيسير امر نكاحها وتعجيلها في سنها المبكر حتى لا يقعن في الفواحش ، فقال : ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾. [1] فكلما طلب الأب طلباً معقداً في امر المهر او طلب الكفو لبنته – فقد يكون بذلك قد سدّ باب الزواج ، فحذره القرآن عن ذلك في هذه الآية الكريمة.

٩) انجاب الذرية وبقاء النسل

ان من اجل مقاصد النكاح في منظور القرآن هو انجاب الذرية وابقاء النسل، فقد قال الله تعالى مبيناً سبب خلق الازواج :﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾. [2] فلم يكتف القرآن عند بيان سبب النكاح بانه يسبب الى انجاب الولد فحسب، بل جاوز في بيان علته بانه سبب انجاب "الحفدة" ايضا– وهي في بعض الوجوه بمعنى"ولد الولد" [3]. فيرى حرص القرآن الكريم في بقاء النسل في هذا السدد.

وكذلك جعل من اجل وظيفة الزوجة ان تنجب الذرية فلذلك اخبر الله تعالى بانه اصلح زوج زكريا عليه السلام حتى انجبت يحيى النبي عليه السلام ، فقال الله تعالى ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾. [4]

ومن وجهة عمومية فان الله اكّد في امر بقاء النسل من جهة النكاح لان قطعه " اصل الفساد، فانما عمارة الدين والدنيا جميعا في وجود البشر، فاذا انقطع النسل فسد الدين والدنيا معا "[5].

فلذلك رغّب رسول الله صلع في تزويج الولود في حديثه صلع " وخير النساء الودود الولود "

---

[1]- النور:٣٣

[2]- النحل:٧٢

[3] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ.

[4]- الانبياء:٩٠

[5] الشيخ ابراهيم سيفي ، كتاب النجاح في معرفة احكام النكاح ، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي، ٢٠١٣ ، ٢١٤.

فجعل صلع كون المرأة ودودا ولودا من اجل صفات النساء لان الله عز وجل يقول ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾-[٢] فمن لا تود فليست بزوجة انما هي عدو كما قال الله ع ج ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾،[٣] وقال الله عز وجل ما يبيّن تفضيل النساء الولود : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾[٤] فكل امرأة لا تلد ليست بحرث.

وقيل ايضاً في تفسير الآية الكريمة﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ بان المودة "كناية عن الجماع، والرحمة عن الولد "[٥] كما عني كذلك بالرحمة بالولد في قول الله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا ﴾.[٦] فكل هذا يدعم ما ذكرتُ بان انجاب الولد من اجل وظائف النكاح.

١٠) طهارة النسب ومعرفته

واضافة الى ما للعلاقة الزوجية في انجاب الذرية من الدور المهم ، فانها سبب وحيد لصيانة النسب عند انجاب الذرية ، والا فقد يولد الولد خارجاً عن نطاق النكاح ايضاً . فلذلك حرم الله فرج المرأة الا على رجل واحد ، واباح للرجل اربع نسوة بقوله ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾[٧] لان الرجل لو وطئ الف فرج لم يفسد النسب بوطئه ولم تختلط المواريث ولم تلتبس الاحكام في القرابات ، ولو وطئ المرأة رجلان في طهر واحد لا تدري لايهما الولد وفسد النسب وفسدت المواريث ، لان المرأة ذات رحم مستورة يستودع الولد فيها ، والرجل يلقح ، فحفظ الله ع ج بهذا انساب الناس ومواريثهم وعرفهم قراباتهم ليعتدوهم وليحفظوهم فنظر لهم في ذلك اجمل نظر بان حرم على المرأة وطي الرجلين في طهر واحد .

---

[١] الشيخ محمد المنجد ،كتاب على عتبة الزواج (الطبعة الثانية)، مجموعة زاد ، ٢٠١٤.

[٢]- الروم: ٢١

[٣]- التغابن: ١٤

[٤]- البقرة: ٢٢٣

[٥] ناصر الدين البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ، ج ١ ، مطبعة المشهد الحسيني ، مصر ، ١٣٨٠هـ ، ص ٣٣١.

[٦]- ص: ٤٣

[٧]- النساء: ٣

فانجاب الولد في نطاق العلاقة الزوجية يتسبب الى طهارة النسب – وذلك من اجل فوائد هذه العلاقة.

١١) تربية الاولاد

ان امر تربية الاولاد تابع لامر انجاب الذرية ومتمم له ومسبب الى نشؤ تلك الذرية على الصلاح والايمان ، وان العلاقة الزوجية هي آكد الاسباب لذلك. فقد اخبر لنا القرآن عن عباد الرحمن ورغبتهم في الذرية الصالحة ، فهم يدعون الله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ اَزْوَاجِنَا وَذُرِّيّٰتِنَا قُرَّةَ اَعْيُنٍ ﴾.[١] ونطق القرآن ايضا بان كون الذرية صالحةً من اجل متطلبات الانسان ، كما يرجوه الانسان حسبما اخبر عنه القرآن ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾.[٢] ونطق ايضاً في ابلغ الكلام وافصحه عما قاله لقمان ع م ﴿ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴾. [٣]

فبسبب هذه التربية يمن الله على الزوجين بالحاق ولدهما في الجنة بهما حسبما ورد في القرآن : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.[٤] وهذا يكون من اعظم المتطلبات من الابوين واجل ما يحصل به قرة العين.

ثم يراعي القرآن مكانة هذه التربية من جهة الوالدين اشد المراعاة ، فيلزم على الولد الدعاء لهما حيناً ويقول: ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾،[٥] ويوصيه ان يشكر لله ولوالديه فيقول ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾،[٦] ويأمره حيناً آخر بان يحسن اليهما فيقول : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾.[٧] فتربية الاولاد من الوالدين يؤهلهما لكل هذه الانعامات المذكورة لهما في القرآن .

---

[١]- الفرقان:٧٤

[٢]- الاحقاف:١٥

[٣]- لقمان:١٣

[٤]- الطور:٢١

[٥]- الاسراء:٢٤

[٦]- لقمان:١٤

[٧]- النساء:٣٦

١٢) ضمانة لتكفل المرأة

ان الله اسس نظام خلقه بان فوّض الى الرجال الكسب وخدمة ما كان خارج البيت ، والزم على النساء امور البيت الداخلية كما ورد في الحديث بانه صلع " قضى على فاطمة ع م ابنته بخدمة ما كان في داخل البيت وقضى على علي ع م بخدمة ما كان خارجا منه "[١]، فان العلاقة الزوجية هي آكد الاسباب لمراعاة نظام المعاش للمرأة وهي ضمانة لتكفل المرأة في جميع امورها ولاسيما في نفقاتها وسكناها.

اولاً : فرض المهر

فاول ما يعتني القرآن لكفالة المرأة هو ان يفرض لها المهر من جهة زوجها ويؤكد في عدم رجوع الزوج فيه باشد الالفاظ واقوى اللهجات وقال : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾.[٢] فسمّى الرجوع في مهر المرأة ﴿ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾. ثم اضاف التأكيد في ذلك فقال على طريق الاستعظام وقال جل ذكره: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا [٣]﴾ أَرَادَ بِالافضاء "الْمُجَامَعَةَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ يُكَنِّي، وَأَصْلُ الْإِفْضَاءِ: الْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ" [٤]. فسمى العقد ههنا ميثاقا غليظا تبياناً لما يجب من المراعاة الشديدة في امر مهور النساء .

ثانياً : النفقات

وكذلك نرى بان الله لم يكلف المرأة النفقة لنفسها بل فرض ذلك لها على زوجها ووكّلها اليه فقال عزوجل ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[٥] فاوضح الله في هذه الآية ما يجب على الرجال من النفقة والكفالة لازواجهم .

---

[١] السيد القاضي النعمان بن محمّد رض ،مختصر الآثار، ج٢، دائرة الطبع والنشر- الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦،ص ٣١٢.

[٢]- النساء :٢٠

[٣]- النساء :٢١

[٤] الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل ، دار ابن حزم ، 2002 – 1423، ص ١١٥.

[٥]- النساء:٣٥

وقال الله ع ج ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيأَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾،[1] فعنى الله عزوجل بقوله ﴿ قَدْ عَلِمْنَا﴾ اي نعلم ما اوجبنا عليهم من النفقة على ازواجهم وعلى ملك يمينهم ، وانما اوجبناه بعلمنا ولم نوجبه في غفلة منا.

وقال ع ج في موضع آخر ﴿ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾.[2] فاوجب على الرجال بقوله ﴿ فَارْزُقُوهُم ﴾ ان يعطوا ازواجهم واولادهم رزقهم مما يتعيشون به في الاموال التي في ايديهم وآتوهم كسوتهم مما يوارون به ابدانهم بالمعروف مما يصلح لمثله من مثلهم ، وان يقولوا لهم قولا معروفا مما يصلح به احوالهم اذا تأدبوا به ، والمعنى في ﴿القول المعروف﴾ ان يقال لهم ترفقوا في العيش فان الرفق في النفقة نصف العيش ونحو ذلك .

فيرى ههنا مدى اعتناء القرآن الكريم واهتمامه بان يقوم الرجال بواجبهم في كفالة المرأة — حتى لم يترك القرآن وجهة النصح المبذول من عند الرجل في هذا الامر المهم بامره بالقول المعروف.

وكذلك اعتنى القرآن الكريم في حين تعدد الازواج من جهة الرجل ان يعدل بينهن كل العدل فقال جل ذكره :﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾. [3]

فالمعلقة "البهيمة تربط بحبل وتعلق في موضع فلا تعلف ولا يخلى عنها فتمشي في ارض الله وترعى"[4]، فضرب بها مثلا للمرأة اذا لم يقم زوجها بما تحتاج اليه، ولا يخلي عنها فتنكح زوجا غيره،

فاخبر الله تعالى ان العدل بين النساء لا يستطاع ، لان المرء قد يستطيع العدل عليهن في النفقة والمبيت والعطية وغير ذلك مما يملكه ، ولا يستطيع العدل بينهن في الهوى والشهوة والنشاط الى الجماع ، فواجب عليه ان يعدل فيما يستطيعه لان الله عز

---

[1]- الاحزاب:٥١

[2]- النساء:٨

[3]- النساء:١٢٩

[4] الشيخ ابراهيم سيفي ، كتاب النجاح في معرفة احكام النكاح ، دائرة الطبع والنشر- الجامعة السيفية ، ممبئي، ٢٠١٣ ، ص٢٥٠.

وجل انما رخص من ذلك فيما لا يستطاع ، وامر بالعدل في موضع آخر ، وهو الذي يستطاع ، وقال : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.[1]

فاكّد الله في حين تعدد الازواج من جهة الرجل ان يعدل بينهن وذكر خلال قرين الآية بان للفضل في الاكثار من النساء ثلاث شرائط :

اولها استطاعة القيام بمعاشهن،

والثانية حفظهن بقوة الباءة،

والثالثة قدرة ترك الميل بينهن في النفقة والمسكن والمبيت وغير ذلك،

فمن كانت فيه هذه الشروط كان له فضل في اكثارهن، والا فالاقتصار افضل .

وجاوز القرآن في تأكيده في امر كفالة المرأة وحتى في عرصة الطلاق ووفاة زوجها، فقال عز وجل في المطلقات : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾.[2] فاوجب الله للمطلقة "السكنى والنفقة بالمعروف ما دامت في عدتها كانت حاملا او غير حامل ما دامت للزوج عليها رجعة "[3]واوجب ذلك للحبلى حتى تضع حملها وان لم تكن للرجل عليها رجعة.

فكل ذلك دليل واضح على مدى اهتمام القرآن الكريم بكفالة المرأة في العلاقة الزوجية.

١٣) حصول الغناء ونفي الفقر

ان النكاح لا غرو سبب للغناء وكثرة الرزق ، فقد علم الله تعالى بان كثيرا من الناس يتجنبون عن النكاح اما لقلة الاسباب لكفالة عياله واما لمخافة الفقر وخوف ذهاب ما لديه من الاموال. وهناك ايضا اناس لا يرون النكاح حتى يستقيم لهم معايشهم – واستقامة ذلك ربما تستهلك سنين ثم لا يجدون من يرغب في نكاحهم

---

[1]- البقرة:٢٨٦

[2]- الطلاق:٦

[3] السيد القاضي النعمان بن محمّد رض ،كتاب دعائم الاسلام، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦، ص ٤٥٠.

لكبر سنهم. ومن النساء من لا ينكحن مخافة للاضطراب فيما هن في سدده من دراساتهم العليا وكسب المعاش. فقد سعى القرآن باقناع كل من هذا سبيله فقال : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾.[1] وقد ورد في الحديث في تفسير هذه الآية الكريمة بان "من ترك النكاح مخافة العيلة فقد اساء الظن بربه" لقول الله عز وجل ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾"[2] .

فالعيلة بالفتح الفقر، وقول الله هذا ينهيه عن خوف الفقر مبيناً بان خوف الفقر من سوء الظن بالله لانه ضمن بالرزق لعامة خلقه بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾،[3] وضمن به لمن نكح على شريعته خاصة بقوله هذا ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ الآية﴾، وهذا الحديث مستخرج من قوله هذا، و ههنا اشارة بان النكاح احد الاسباب التي تجلب على العبد الرزق، فمن اجهده الفقر وكان عزبا فلينكح حتى يغنيه الله من فضله كما وعد به. فلذلك جاء عن النبي صلع في الحديث بانه قال " اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم"[4]

١٤) حصول فضل الله الذي فضل الله به النبيين

اخبر الله تعالى بان من انعامه على النبيين وفضله عليهم الازواج والذرية ، فقال عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ .وانعم الله تعالى ايضاً على ايوب النبي ع م بعد ما ابتلاه فقال :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾.[5] فقد عُلم بذلك بان العلاقة الزوجية فضل – فضّل الله بها النبيين.

---

[1]- النور:٣٢

[2] إسماعيل بن كثير ، تفسير ابن كثير ، ص ٢٢٦.

[3]- الذاريات:٥٨

[4] مُحَمَّد الريشهري ، ميزان الحكمة، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢، حديث ٧٨١٣.

[5]- ص:٤٣

ويؤكد ذلك ما ورد في الحديث : "ثلاث اعطيهن النبيون العطر والازواج والسواك"[1].

وفي تعدّد القرآن انعامَه بالاهل والازواج على النبيين ، وفي تخصيص الانبياء بالازواج في هذا الحديث وجهان من المعاني :

اولهما ان هذه الثلاث النعم هي ذات فضل حتى ان من فضلها انهن اعطيهن النبيون، لانه لا يوهب لهم الا كل ما فيه فضل،

وثانيهما انها اذا اعطيهن النبيون فالواجب على امهم ان يستعملوها ويقتدوا بهم فيها،

وفي الاعطاء وجوه عديدة ايضاً :

منها انها خلقت لهم خاصة ولامهم عامة،

ومنها انهم مكنوا منها كتمكين آدم من حواء وتمكين نوح من امرأته وتمكين ابراهيم من هاجر وتمكين موسى من صفراء وتمكين مُحَمَّد رسول الله صلع من خديجة،

ومنها ان الله ع ج قواهم على ازواجهم ولم يبتلوا بعاهة في ابدانهم.

واما ما كان من عيسى من تركه النكاح فلم يحرم شيئا من هذه الوجوه الاربعة ولكنه تركه اختيارا منه لزهده في الدنيا لاسباب اقتضته، ولعلل اوجبته، والا فانه اعطيهن كما اعطيهن النبيون ممن قبله ومن بعده.

فيتضح في ضوء هذه الوجوه جميعاً بان الله عدّ فعل اعطائه الازواج لانبيائه عليهم السلام من انعامه عليهم وعدّه كذلك من تفضيله اياهم بهن — وابان كون اتخاذ الازواج بالنكاح الحلال من سننهم التي يستحب بل يجب الاستنان بها حسبما ورد في الحديث النبوي : " من احب ان يكون على فطرتي فليستن بسنتي، فان من سنتي النكاح "[2]. وفي هذه الآيات الكريمة وهذا الحديث الشريف دليل على ان طريقته هي الطريقة المثلى،

[1] السيد القاضي النعمان بن مُحَمَّد رض ،كتاب دعائم الاسلام، دائرة الطبع والنشر- الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦، ص٣١٦.

[2] السيد القاضي النعمان بن مُحَمَّد رض ،كتاب دعائم الاسلام، دائرة الطبع والنشر- الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦، ص ٢٠٥، ص٣٥٣.

والمحجة الوسطى، لانه يقول فان من سنتي النكاح، يعني ان من سنتي الترك للحرام، والتعفف بالحلال، وهي الطريقة الوسطى بين التهتك والتبتل.

١٥) المعاونة على امور الدين

قد ورد في الحديث بان النكاح سبب لاكمال الدين ، كما وردت الرواية عن النبي صلع : " انه امر ببني زريق فسمع عزفا فقال ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، نكح فلان ، فقال : كمل دينه "[١]. فيكمل دينه اذ تم اسلامه لان النكاح من شرائطه، وانما تمت طاعته لانه امتثل امر الله عز وجل في النكاح .

وكذلك ورد في الاحاديث عدة من الرغائب في اختيار المرأة ذات الدين. فمنها ما جاء في الحديث النبوي صلع :"اذا تزوج الرجل المرأة لحسنها او لمالها ، وكل الى ذلك ، وان تزوجها لدينها وفضلها رزقه الله المال والجمال"[٢]. ونهى صلع ايضاً : " ان تنكح المرأة لمالها وجمالها . وقال : مالها يطغيها وجمالها يرديها ، فعليك بذات الدين"[٣].

فكل ذلك ينبئ وجوب كون الزوجة ذات الدين – ممتثلة لجميع اوامره ومنتهية عن نواهيه ، وذلك يوضح اهمية دور العلاقة الزوجية في المعاونة على اقامة اركان الدين وشريعة الاسلام.

اولاً : تلقين الزوج باقامة الدين لاهله

وقد نطق القرآن بهذه المعاونة في عدة من آياته واوضح بانها تكون ذات الطرفين – يكون من كل طرف للطرف الآخر من الزوجين. فمما نطق القرآن من تلقين الزوج اقامة دعائم الاسلام والشريعة قول الله سبحانه : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ

---

[١] طبع وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الموسوعة الفقهية الكويتية، من كتاب السنن الكبرى للبيهقي (٢٩٠/٧)" ، ص ٢٣٤.

[٢] الشوكاني، نيل الاوطار، ج٦، كتاب النكاح ، القاهرة: مطبعة المصطفى الحلبي ، ١٣٤٧هـ ، ص ١١٥.
انظر ايضا:
الصنعاني ، محمد بن اسماعيل ، سبل السلام شرح في بلوغ المرام، القاهرة: مطبعة المصطفى الحلبي ، (د.ت.) ج ٣ ، ص ١١.

[٣] القاضي ابن البراج ، كتاب المهذب، ج٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٦، ص١٨٠.

عَلَيْهَا ﴾.[1] فامر ههنا نبيه صلع ان يأمر اهله بالصلوة التي هي "وجه الدين"[2] موضحاً واجبات الزوج تجاه اهله في تلقينها لاوامر الشريعة. وحين امر نبيه صلع بان ينصح ازواجه ابتداء بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ...﴾ ، ناط تفضيلهن بسببه صلع بالتقوى فقال : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾. ثم امر نبيه ان يلقنهن الصلوة والزكوة والطاعة لله والرسول بقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾.

وفي موضع آخر ، قرن بين وقاية المؤمنين انفسهم وبين وقايتهم اهليهم نارا ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾.[3] فهذا الاقتران يؤكد مدى ما يجب على الزوج لزوجته من تأديبها على طاعة الله حتى تقي من النار. فقد روي في شرح هذه الآية الكريمة عن رسول الله صلع عن الامام جعفر الصادق ع م : " انه قال : لما نزلت هذه الآية : يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ، قال الناس : يا رسول الله ، كيف نقي انفسنا واهلينا ، قال : اعملوا الخير ، وذكروا به اهليكم فادبوهم على طاعة الله ، ثم قال ابو عبد الله : الا ترى ان الله يقول لنبيه : وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ، وقال : واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا"[4]. وجاء ايضاً عن علي رضي الله قال في قوله تعالى﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ قال: "عَلِّمُوا أَهْلِيكُمْ خَيْرًا "[5].

---

[1]- طه:١٣٢

[2] " وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لكل شيءٍ وجهٌ ووجهُ دينِكم الصلوةُ "
السيد القاضي النعمان ، كتاب الطهارة ، كراتشي : دائرة الطبع والنشر – الجامعة السيفية، ١٤٢٢ ، ص ١٥.

[3]- التحريم:٦

[4] السيد ادريس عماد الدين رض ، عيون الاخبار، ج ٤ ، ذكر الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، ص ٢٤٩.

[5] ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الكتب السلفية، مصر، ٢٠١٥، (٣٨/١٤)

وقد يؤجر الله الزوج بنصيحته لاهله في امر الدين ، كما جاء فيمن لم يستطع الحضور للصلوة بالجماعة فيصلي مع اهله – فانه بذلك يحرز ثواب الجماعة ، كما ورد ذلك السيد القاضي النعمان قدس الله روحه:

"فالذي يستحب وينبغي ان يفعله المصلي إذا أراد الصلوة أن يصلي في المسجد الأعظم لما جاء من تضعيف الصلوة فيه ، وقد ذكرنا ذلك ، فإن لم يمكنه ذلك فليصل في جماعة في سوقه أو بحيث يكون في جماعة ، فإن لم يمكنه ذلك فليصل في بيته ويجمع مع أهله وولده ، فإن في ذلك فضل الجماعة وثواب إقامة أهله على الصلوة ، قال الله عز وجل ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ "[1].

فيتضح بهذه الآية وما جاء في تفسيرها بان تلقين الدين من اهم وظائف الزوج تجاه زوجته.

ثانياً : دور الزوجة في تلقين الحق لزوجه

ينطق القرآن عن حكاية امرأت فرعون (آسية بنت مزاحم) اذ حجزته عن قتل موسى النبي صلع وجعل تحاج عنه وتذب دونه ، وتحببه إلى فرعون ، فقالت : ﴿ قُرَّةَ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ . فلم يقبل فرعون نصيحتها له فقال : "أما لك فنعم ، وأما لي فلا . فكان كذلك ، وهداها الله به ، وأهلكه الله على يديه"[2] .

وذكر القرآن ايضا فضل عمران ع م في القرآن بالعمل الصالح الصادر من زوجته من نذرها ما في بطنها، فقال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.[3] فهذا دليل بان الزوج قد يفضّل بنسبة اعمال زوجته الصالحات. ويؤكد ذلك ما ورد في امر جرى في عصر النبي صلع : بان النبي صلع " نظر الى نخامة في حائط القبلة فلعن صاحبها ، وكان رجل من الانصار وقد خرج الى ضيعة فانتهى ذلك الى امرأته فبادرت اليها فازالتها وحكت موضعها وجائت بزعفران فجعلته عليه فجاء رسول الله صلع فرآه

[1] السيد القاضي النعمان ، مختصر الآثار ، ج ١ ، ذكر المساجد، كراتشي : دائرة الطبع والنشر – الجامعة السيفية، ١٤٢٢ ، ص ١٥.

[2] تفسير ابن كثير نسخة محفوظة ٠٥ مارس ٢٠١٦ على موقع.Wayback Machine .

[3]- آل عمران : ٣٥

فقال ما هذا ، فاخبر بما صنعت المرءة لمّا انتهى اليها لعن زوجها من اجل ذلك ، فقال صلى الله عليه وآله بارك الله فيها "[1] . وهذه الرواية تنبئ بان ينبغي للزوجة ان تسعى في اصلاح زوجها وهدايته اذا احتاج هو الى ذلك ، ويجب عليها ان يعينه كل الاعانة في امور الدين واقامة الشريعة – وذلك يكون من اجل رفدها الذي تبذله لزوجها – فقد جاء النهي للمرأة في الحديث عن" أن تمنعه رفدها وعملها "[2] .

١٦) ارشادات القرآن الى تيسير النكاح

حينما نواجه في العصر الحاضر تعقيدات ومشكلات في امر النكاح ، يسعى القرآن في تذليل العقبات في طريق النكاح خلال مطاوي آياته العديدة. فقد ذكرت بعض القضايا التي تناولها القرآن الكريم فيما يلي:

التعمق في تفقد الاكفاء

من اسباب العزوف عن الزواج التعمق من جهة الرجل والمرأة او عشيرة المرأة في تفقد الاكفاء. فقد اشار القرآن الى اختيار التيسير في هذا الامر خلال قصة موسى ع م مع شعيب ع م . فعرض شعيب ع م ابنته على موسى ع م فقال: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ على أن تاجرني ثماني حجج ﴾.[3] فيقبل موسى ع م هذه الصفقة ويقول : ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ . فقد عُرف خلال اداء القرآن في هذه القصة غاية السهولة وابلغ التيسير من جهة النبيَين في امر النكاح. وذلك تلقيح جميل لنا باتباع هذا المنهج واختياره لتيسير امر النكاح .

أهمية السعي والتوسط للتزويج

وهناك نصيحة جليلة اخرى في هذه الآيات الكريمة في تيسير امر النكاح – وذلك بان ابنة شعيب ع م لم تطلب اباها الا استيجار موسى ع م بذكر قوتها وامانته

[1] السيد القاضي النعمان ، كتاب الطهارات، ذكر المساجد، كراتشي : دائرة الطبع والنشر – الجامعة السيفية، ١٤٢٢ ، ص ٦٠.

[2] السيد القاضي النعمان ، مختصر الآثار ، ج ٢ ، كراتشي : دائرة الطبع والنشر – الجامعة السيفية، ١٤٢٢ ، ص ٥٦.

[3]- القصص: ٢٧

بقولها ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾.[1] ولكن شعيب ع م توسط بينهما – عارفاً بان قوة موسى وامانته قد تأثّر في نفس ابنتها . فعرضها لموسى ع م مبتدئاً من نفسه حتى قبلها ع م كزوجتها . فان القرآن ههنا يلفّن الى اهمية التوسط والسعي بين الفتيات والشباب المبتغين للنكاح .

تيسير المهر

ومن اجل اسباب تعسير النكاح في العصر الحاضر هو المغالاة في المهور بل تعدى الأمر عند بعض الأولياء وكذلك البنات بعدم الاكتفاء بما يطلبونه من أموال باهضة في المهور!بل بلغ بهم الأمر إلى إضافة شروط مالية قد تكون لكثير من الشباب تعجيزية! فان القرآن مهما اجاز المغالاة لمن يستطيع ذلك ، نصح في جنب ذلك في تيسيره خلال ما ذكرت من قصة شعيب ع م ، فهو يقول لموسى ع م : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴾. فرعى شعيب ع م ان لا يشق امر المهر على موسى ع م فعرض عليه الاجلين ووثّقه ان يكون هو له من الصالحين خلال هذه المدة. فيُعرف من هذا ان شعيب ع م سهّل الامر على موسى ع م الى مدى يستطيع القيام به. وفيه تنبيه لتيسير مهور النساء .

ويؤكد ذلك ما ورد في الحديث في هذا السدد كقول النبي صلع : " افضل نساء امتي اصبحهن وجها واقلهن مهرا "[2].

ويجمل في هذا الموضع ايراد آية قرآنية في نصيحة كل من في يديه عقد نكاح المرأة ان لا يتأخروا في امر انكاحهن ابتغاء عرض الحيوة الدنيا من المهر الوافر او الكفو الفائق في وصفه وغير ذلك – فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إن اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾.[3] معناها أن الذي يضع العراقيل أمام خطّاب ابنته ، ويطلب شروط معينة ، وأشياء معينة ، كأنه يقوّي في ابنته الشهوة ، كأنه يقوي في ابنته التفكير بالانحراف ، هذا العضل من الكبائر ، فينبغي لهم اختيار السهولة والقناعة والتسير في هذا الامر.

---

[1]- القصص:٢٦

[2] البيهقي، السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ، ح ١٤١٣٤، المستدرك، ح ٢٧٣٢.

[3]- النور : ٣٣

خلاصة القول

قد استنارت هذه المقالة المتواضعة عدة من الآيات القرآنية في معرفة موقفها تجاه العلاقة الزوجية. وقد اتضح خلالها مدى اهتمام القرآن الكريم واعتنائه لهذه العلاقة الانيقة . ولاحظنا كذلك جهد القرآن في صونها وحفاظتها وسد الخللات الناشئة في بنائها .

وكذلك اوضحت المقالة مدى احاطة القرآن الكريم حول عدة جوانب هذه العلاقة المهمة – فقد القى القرآن الضوء على الامور من لدن الخِطبة الى النكاح ، ومن لدن النكاح وحصول اللذة الى انجاب الذرية واخراجها صالحةً . وشاهدنا ايضاً سعي القرآن الكريم في ان يصبح حيوة كل من الزوجين طيبة ذات سكينة ومودة ورحمة فيما بينهما حتى تتكون الاسرة المثالية بهما وتؤدي ذلك الى تكوين المجتمع القيّم السديد الصالح في اوسع نطاقه.

فندعو الله تعالى ان يصون علاقاتنا الزوجية احرز الصيانة ، ويرزقنا الفرحة والسرور والطمانينة والسلو خلالها. ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين.

آمين.

قائمة المراجع والمصادر

١. السيد القاضي النعمان بن مُحَمَّد رض ،كتاب دعائم الاسلام، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٦.

٢. ---. كتاب الطهارات، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ،ممبئي،٢٠١٥،

٣. ---. كتاب مختصر الآثار، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي،٢٠١٥ .

٤. السيد ادريس عمادالدين رض. كتاب عيون الاخبار (السبع الثاني). اس: ١٣٣٤هـ ، مخزن كتب النصاب، الجامعة السيفية، كراتشي.

٥. الشيخ ابراهيم سيفي ، كتاب النجاح في معرفة احكام النكاح ، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، ممبئي، ٢٠١٣ .

٦. السيد مُحَمَّد برهان الدين ، خطبة المحرم الحرام ١٤٢٥ هـ ، المجلس السابع ، دائرة الطبع والنشر– الجامعة السيفية ، كراتشي.

٧. مُحَمَّد بن الحسن الحر العاملي ، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مصر، ج١٤، ص٣. (ISBN الدورة: ٩٦٤-٥٥٠٣-٠٠-٠)

٨. جمال الدين السيوري ، كنز العرفان ، ج٣، دار الأضواء طبع النجف ، ٢٠١٢، ص٤ .

٩. مُحَمَّد بن يعقوب الكليني ، الكافي، ج٥، دار الكتب الاسلامية، بيروت، ص٣٢٧.

١٠. عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، دار ابن الجوزي، المعزية القاهرة، ص ٢٠٦.

١١. مُحَمَّد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٥ ، دار السحنون للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠٠٨، ص، ٢١٧.

١٢. سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي ، في ظلال القرآن (طبعة ٣٢) ، ج٢، دار الشروق، مصر، ١٤٢٣هـ، ص ٦٥٦ .

١٣. سعيد مولاي التاج ، الجنس من خلال مفردات القرآن الكريم ، 2أكتوبر، ٢٠١٥.

١٤. مُحَمَّد عزة بن عبد الهادي دروزة ، التفسير الحديث، ج٧ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٩٦، ص٢٨٦.

١٥. تفسير الطبري : ص ٤٩٠

١٦. مرزا نوري ، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، دمشق، ٢٠١٤، ص ١٦٥.

١٧. الشيخ مُحَمَّد المنجد ،كتاب على عتبة الزواج (الطبعة الثانية)، مجموعة زاد ، ٢٠١٤.

١٨. ناصر الدين البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) ، ج ١ ، مطبعة المشهد الحسيني ، مصر ، 1380هـ ، ص ٣٣١.
١٩. الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل ، دار ابن حزم ، 2002 – 1423،
٢٠. إسماعيل بن كثير ، تفسير ابن كثير ، ص ٢٢٦.
٢١. مُحَمَّد الريشهري ، ميزان الحكمة، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢،. حديث ٧٨١٣.
٢٢. الشوكاني، نيل الاوطار، ج٦، كتاب النكاح ، القاهرة: مطبعة المصطفى الحلبي ، ١٣٤٧هـ ، ص ١١٥.
٢٣. الصنعاني ، مُحَمَّد بن اسماعيل ، سبل السلام شرح في بلوغ المرام، القاهرة: مطبعة المصطفى الحلبي ، (د.ت.) ج ٣ ، ص ١١.
٢٤. القاضي ابن البراج ،كتاب المهذب، ج٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٦، ص١٨٠.
٢٥. ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الكتب السلفية، مصر، ٢٠١٥، (٣٨/١٤)
٢٦. البيهقي، السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ، ح ١٤١٣٤، المستدرك، ح ٢٧٣٢.
٢٧. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤.
٢٨. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٩. مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط، صدر: ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
٣٠. طبع وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الموسوعة الفقهية الكويتية، من كتاب السنن الكبرى للبيهقي (٢٩٠/٧)" ، ٢٠١٠.
٣١. (2000). Longman Pronunciation Dictionary (2 ed.). New York: Longman. ISBN 0-582-36467-1. Wells, J.